تحيين الجذاذات المصطلحيّة

ــ نحو صناعة قاموس الجيب العملي (العربي) ــ

د. يوسف مقران

المركز الجامعي عبد الله مرسلي

تيبازة ـ الجزائر

ملخَّص:

إنّ مقالنا يتناول ـ في دراسة استِشرافيّة ـ موضوعاً يقع في حدود مفتوحة بين مجال صناعة المعجم (**صناعة قاموس الجيب العملي**) وحقل المصطلحيات (**الجذاذات المصطليّة**)، والبحث العلمي (**باعتباره معمَل المُصطلحات ومختبر المفاهيم**) والذي حان الأوان أن تُستثمَر أبعادُه [1]. وما كان ذلك ليحصل لو لم يقع تقاطعٌ في اهتمامات كلٍّ من هذه المجالات. فنحن في حاجة إلى **المُصطلحيّات** الّتي تقوم بتفكيك *المفهوم* الذي يصدر عنه واضِع المصطلح مُعتمِدةً في ذلِك ما يُدعى **المُقاربة المَفهوميّة**، لِتلتحِق بعد ذلِك مُباشرةً باللَّفظ (التّسمية) الّذي يُعتبَر مُنطلَق المعجميّة » صناعة المعجم « في عملِها (**المُقاربة اللَّفظيّة**). هذا لا يكفي إلاّ في سياق قراءة البحث العلمي المنتِج للمفاهيم والواضِع للمصطلحات التي سيتضمّنها قاموس الجيب العملي المنشود: لعلَّنا نستفيد دروساً قيِّمة ما دامت السيادة لعلاقة الشَراكَة تلك، المتنوِّرة التي أرادت هذه الوجهة أن تستوفي بعضاً مِن أضوائِها ومِن أدوارٍ أخرى تُسنَد للمصطلحات والجذاذات التي تمثِّلها، ماثِلة في:

- التّمكين للفهرسة (وإنجاز فهارس موضوعاتيّة مقترِنة بمصطلحات معيّنة)
- مسايرة أنظمة استرجاع المعلومات المخزَّنة (وتكييفها مع واقع حال كلّ ممارسة تواصليّة)
- تمثيل المحتوى في نظم المعلومات المتطوِّرة والمعقَّدة والمتعددة اللغات

يُمكِن، في رحاب هذا الطّرح أن يتمفصل مقالنا على ثلاثة محاوِر، هي:

1. المعلومات الجذاذيّة: مسارات الجمع
2. الاختيارات القاموسيّة: مجال التّحيين
3. تحيين المَلَكة الموسوعيّة: المكاسِب والطموحات.

Résumé:

Titre : **Actualisation des fiches terminologiques**

-Vers l'élaborationd'un dictionnaire de Poche pratique (arabe) -

Le présent article propose une étude prospective traitantplusieurs domaines : la lexicographie, la terminologie et la recherche scientifique dans l'élaboration des termes techniques.

La terminologie avec son approche onomasiologique qui va du concept vers la nomination va se confronter avec l'approchesémasiologique qui est du ressort de la lexicographie. La recherche scientifique veut extraire ce dynamismequi existe dans la conceptualisation des nouveaux termes.

Notre article s'articule en trois volets :

1. Informations fichées : processus de collecte.
2. Choix dictionnairiques : domaine d'actualisation.
3. Actualisation de la compétence encyclopédique : acquis et ambitions.

مقدِّمة:ـــــــــــ

إنّ المصطلحات التي يسعى قاموس الجيب إلى جمعها،كما تُسهِمفي تعريف المفاهيم فعلاً وتنظيم المعرفة وتوثيق المعلومات وتيسير تبادلها المستمرّ ــ هذا من الناحية المبدئيّة المرتبطة أكثر بمهمّة التّأسيس للعلوم [2]،فلا تزال يُسجَّل لصالحها ــ من جهة نشر هذه العلوم ــ إسهاماتٌ جمّة في الحصول على المعلومات والوصول إليها بالبحث طبعاً في عالم الأعمال الموازية والمتكاثِرة وما ينتج عن التطبيقات المتطوِّرة والمختلفة المشارب والغايات. فهذا الوضع الذي ينمّ عن المنفعة المزدوجة التي تضطلع بها المصطلحات، يحفِّزنا إلى التحرّي بدورنا فيما يؤهِّل هذه الأخيرة ــ علاوةً على ما تقدّم ــ إلى أن تتبوّأ هذه المكانة الفريدة. وكذلك نتبيّنمِن هذا المنطلَق، أهميّةَ التّركيز على الدور الاستراتيجي للمصطلحات كطريق للوصول إلى المعلومات في كلِّ المجالات التي تُغطّيها، علماً أنّ ذلك الدّور يتوزّعأصلاً وتبعاً على طريقين ممكنين ومَوصولين: طريق التَّسمية والتعيين والإشارة وطريق المفْهَمَة والصَّوْرَنَة والنَّمْذَجَة.وهما طريقان يحتملان بناء تفكيروتشكيل لغةٍ هي مفصلية في حركة المعرفة العلمية التي تنتقل بشكلٍ يثير الاندهاش ولكن لا يمتنِع عن التحقيق ولا تعجز المصطلحيات عن وصفه.إنّنا نلاحظ في هذه المداخلة النيي تُلقي الضوء على ديناميات التحيين المصطلحي في تنمية المعرفة والحصول عليها، أن تتمَّالاستفادة مِن هذا الدور ثمّ تسخيره لفائدة الجميع ما دام من شأنه أن يرفع الحواجز عن كثيرٍ من الأسرار التي يحتفظ بها أهل الاختصاص مِن دون عامّة الناس. هذا، مع العلم أنّ هذا الدّور يمكن تفتيقُه إلى أدوارٍ تابعة هي: الفهرسة والاسترجاع والتمثيل.

1. **المعلومات الجذاذيّة: مسارات الجمع**

1.1. لماذا الجذاذة المصطلحيّة:

إنّ للمعلومات الجذاذيّة خصوصيّات جمّة ناجمة عن طبيعة الأشياء الخارجيّة التي تُحيل إليها المادة اللّغويّة المرفقة بها؛ وكذا الأهداف المنشودة منها، حيث لا

يُكتفى فيها بحشد المعلومات حول تلك المادّة. يلحّ روبير ديبيك (Robert Dubuc) على أهميّة الجذاذة المصطلحيّة (La fiche terminologique) كمصدر مُمَعير لكلٍّ من التسمية والمفهوم [3]، وهو يربط هذه الأهميّة بما تنطوي عليه الجذاذة من المعلومات وكذا الخطوات التي ينبغي أن تسود عمليّة جمع هذه المعلومات. لأنّ الحركة والوقت الذي تستغرقه تلك الخطوات هامّة في ذاتها. فبعض المعلومات الموسوعيّة في تطوّرٍ مستمرّ، فهي تحتمل مراجعاتٍ من غير الممكِن إيراد جميعها في ذات الجذاذة. من هنا تظهر أهميّة الحديث عن مجال التحيين **Actualisation**.

وكذلك من بين أهم إشكالات المعاجم كما نعهدها، الجمع العشوائي، الذي يقوم عادة على خطة غير منهجية لا تأخذ في الحسبان جملة حقول الموضوع ومفاهيمها الأساسية والفرعية. إن عدم الاقتداء بالجمع المفاهيمي يؤدي الى طغيان مجال على مجال في متن المعجم، وإلى تداخل حقول الموضوع وتهدم وحدته العلمية، وبروز العديد من المشكلات المصطلحية كالإشتراك والترادف وتشتت المفاهيم . فمن غير المألوف في العمل المصطلحي الحديث أن يقوم فريق العمل بجمع المصطلحات دون صُنافة مفاهيم أولية (conceptual nomenclature) تُغنى أولاً بأول على امتداد مراحل العمل، لمعرفة علاقات المفاهيم فيما بينها من حيث قربها أو بعدها عن مجال الموضوع. إن جمع المصطلحات وفقاً لنسق مفاهيمها شرط أساسي من شروط الجمع والتدوين المعجميين، كما أنه خطوة أساسية في عملية التقييس المصطلحي التي تقود إلى ضبط المصطلحات في مواقعها ويؤدي تاليا إلى توحيدها.

ويمكن الاستئناس بهذا الصدد برأي بعض الباحثين الذين حاولوا رسم حدود القاموس وإمكاناته، يقول جان دوليل في نقد هذه النزعة القاموسية، أي فكرة اللغة قائمة بالكلمات nomenclaturela langue أي اللغة المصطلحية باعتبارها قوائم من المصطلحات تقابل مجموعة من المفاهيم والأشياء. إن المعاجم

أحادية اللغة تقرر المعاني الأكثر استعمالا، تلك التي اكتسبتها اللغة من خلال استخداماتها المتكررة في الخطاب.

إن تلك المعاجم تحافظ بوصفها متاحف أقامها صانع القواميس، على المعاني المتعددة والمترسبة والممأسسة لألفاظ التراث اللغوي الخاص بجماعة بشرية ما. ولكنها مع ذلك لا تستنفد سوى النزر اليسير من المعاني الجمة التي قد تتخذها الألفاظ ضمن الممارسة اللغوية. إن ما يصدق على المعاجم أحادية اللغة يصدق أيضاً على المعاجم العامة مزدوجة اللغة التي تدعى من باب التعسف بعض الشيء بمعاجم الترجمة.إن هذه المؤلفات المفيدة تساعد على إيجاد مقابلات تناسب الاستعمالات الأكثر تواترا للوحدات المعجمية الخاصة بلغتين، ولكنها أبعد عن أن تستنفد كل الإمكانيات الدلالية للألفاظ في السياق [4].

ينضاف إلى ذلك أنّ تعريف المصطلح على الوجه المطلوب، يتطلب الدراية بمجاله المخصوص وبالمستجدات المعرفية المتعلقة به، مما يستدعي الدخول في غمار المصادر العلمية، لتقديم تعريف علمي للمصطلح المعني. ولهذا، كثيراً، ما يتذرّع المعجمي بأن مهمته لغوية، لا تنصرف، بالضرورة، إلى المضامين العلمية للمصطلحات. يكفي أن تُبحث الكلمة في اللجنعلمياً ولغوياً ثم تُعرض على المجمع لأن مُهِمَّته لغوية، لا علمية، والمقصود من بحث اللجنة أن رجل العلم قد انتهى من البحث العلمي، وبقي التركيب اللغوي الذي هو مهمة المجمع الأساسية.

إذا كان قد سُجِّل على هذا الرأي إقامته حدود فواصل بين المحتوى الدلالي والصيغة اللغوية، فإنه يشي، أيضاً، بنقائص منهجية، تتمثل في البراءة من تعريف المصطلح والتجافي عن مقصوده، وإن بُرّر هذا الطَّرحُ بالحاجة إلى مجمع علمي يختصُّ بوضع المصطلحات بحدودها وتعاريفها، لتكون مهمة المجمع اللغوي بعد ذلك واضحة .

2.1 في مفهوم قاموس الجيب:

إنّ **قاموس الجيب** ــ كما تدلّ عليه التسمية ــ قاموس صغير الحجم بحيث يمكن وضعه في الجيب ويلبّي حاجات عمليّة بحتة مرتبطة بمجالات التواصل والتعليم والترجمة، وكذلك يوضع لأغراض متّصل باللّغة كالتحقّق من كيفية كتابة كلمة وكذلك التوصل إلى تعريف كلمة وتيسير فهم. وهو موجَّه لجمهور واسع جدّاً سنعيِّنه أدناه أي يحتاج إليه كلّ مَن تُلزمه الحركة على تناوله بسرعة وبشكلٍ يتيح الاستفادة منه في أيّ مكان يحلّ فيه المستخدِم أو يتنقّل إليه، وكذلك لما يتميّز به مِن تجدّد وطرافة وراهنية. وهي في الواقِع عبارة عن قواميس مختصرة. وقد تجلّت الحاجة إلى تطوير فكرة القواميس المختصرة في كنف الممارسات التعليميّة.

لقد شرع مصطلح (**قاموس الجيب** = Dictionnaire de poche) يُحدث تجاوبات في صفوف التّعليميِّين، وكان ينبغي للوصايا أن تحتضن المبادرات الطيّبة، في حين أن ما أعقب مبادرة الباحثين الجادين هو تخلي الوصايا عنهم وترك أعمالهم فريسة للانتهازيين، فغلب الجانب التجاري النّفعي والمادّي. ويُعتمَد في صناعته تقنيات سنتحدّث عنها في وقتها. وهناك ظروف آنية خاصّة لاستعمال قاموس الجيب تستجدّ وفق فئة الجمهور(القراء والمستعمِلين) الذي يُخصّ بقاموس الجيب، وكذلك في الأقسام المدرسيّة، وكذا في حالات التنقّل في وسائل النّقل الحضرية الجوية منها والبريّة والبحريّة،ذلك أنّ أثناء الإعداد للسفر في رحلة ما، يحرص كل شخص على تعلم بعض المفردات الخاصة باللغة التي يتحدث بها أبناء الدولة التي سوف يقصدها، ولكن مهما بلغت درجة الاستعداد، فلابد أن يغيب عن ذهن المسافر بعض الكلمات عندما يكون في أمس الحاجة لاستخدامها. هنا تمسّ الحاجة إلى قاموس الجيب.

وكذلك يتنوّع قاموس الجيب من حيث الوحدة الهدف أي التعريف، فقد يكون قاموس المترادفات. وتندرج هذه القواميس الجيبية ضمن ما يُسمّى القواميس الحصريّة أو الانتقائية (Sélectifs) في مقابل القواميس الشّاملة المتفاوتة

حسب الجمهور وحسب الأهداف. وتستبعد الولوج في الشروح التي لا علاقة لها بالعصر أي المرتبطة بالتاريخ، وبينما تتسِع القواميس الشاملة للمعاني كلِّها ولاسيما القديمة. في الحقيقة من عبارة (Livre de poche) التي استُعمِلت أوّلَ مرّة بالمعنى العام ثمّ تطوّرت الدلالة إلى المعنى المصطلحي أي المفهوم العلمي، وهو يشير إلى نوعٍ مِن القواميس التي تصنَع وتؤلَّف في سياقات تعليميّة.

3.1 مكوِّنات قاموس الجيب العملي:

1.3.1 المصطلح / الوحدة المصطلحيّة:

1. لقد درس لويك دبكير (Loïc Depecker) حدّ « المصطلح» وإمكانات تعريفِه ووصفِه، وهو يتحفّظ في كلمة *المصطلح*. فاقترح لذلك، أوّلاً: التحدّث عن » الوحدة المصطلحيّة « بدل الحديث عن » المصطلح « بسبب تركيباتها المعقَّدة وتنوّعاتها اللّغويّة التي تدخل في تكوينها، وكذلك لكي نرضى بكون المصطلحيات تدرس وحداتٍ معيَّنة، سيبقى بعد ذلك شيءٌ واحِدٌ هو إثبات الطابع اللّغوي لتلك الوحدات (أو نفيه)؛ ما يودّي حتماً إلى إقرار تبعيّة المصطلحيات لحقل اللّسانيات أو شيء آخر غير ذلك أو أكثر من ذلك. ثانياً: أن تُعتبَر التسميات باسِطة ومستبدَلة(Extensives et substitutives) [5].
نضيف إلى هذا الطرح إمكانية تعريف مصطلح ما بناءً على هاتين المعلمتيْن [6](Pparamètres)المؤسِّستيْن لفرادة مفهوم *الوحدة المصطلحيّة* في إطار التعليميات.
2. المصطلحات أنظمة عاكِسة لمستوى البحث العلمي: وذلك بما لهامن دور كبير في الاتصال اللغوي وما تقوم به منتسجيلاالملاحظات،ووضعالفروض،وإثباتالنظريات،ووصفعملياتالإنتا ج،وتسميةالمنتجات .وفي هذا الصدد يكون الاهتمام بتحيين الجذاذات المصطلحيّةهادفاًإلىتكوينمنظومةمتكاملةللمصطلحاتتدلبوضوحعلىالمفا

هيمالمنشودة،وتكونأداةمفيدةفيعمليةالاتصالاللغوي .

وهذاجانبعمليتزامنيويختلفعنالبحثالعلميالتاريخيفيالمصطلحاتعبرالقرون .

وفيإطارالوظيفةالاتصاليةللغةوتزايدالمفاهيمالحديثةيكونللمصطلحاتالموحدةدورحاسمفيتنميةالمعرفةالعلمية.

لهذا كله لم يعد أطوع من المصطلح في توثيق معطيات الحضارة وتخزين نتائجها من الاكتشافات العلميّة ومظاهرها من الاختراعات التّقنيّة. وهذا نظرًا لِما يتّسم به المصطلحُ من الخصائص: كالدّقّة في التّعبير عن المفاهيم، ودلالته على أشياء مادّية محدّدة، وإمكانيَّة استقرار معناه في مجال معرفيّ معيّن حيث يُستعمل، ووضوحه إلى أقصى درجة ممكِنة ..الخ. عِلمًا أنَّ «لُغات التَّخصُّص تتوخَّى الدِّقة والدّلالة المُباشِرة، وكِلتاهما سمةٌ جوهريَّة في المُصطلحات العلميَّة والتِّقنيَّة.» [7] وقد استُخلِصت هذه المميّزاتُ وغيرُها، من الإجراءات التّطبيقيّة.

فضْلاً عن ذلك **التّعريف المصطلحيّ** الّذي وَقعَ في بُؤْرة اهتِمام المُصطلحيِّين المَرحلة المتقدِّمة إذ اعتُبِر المَطلَبَ الخطيرَ في مَجال توثيق المعلومات، والحالُ أنَّه «أُلحَّ على ضرورة استِعمال المَوارِد المَكتبيَّة منذ نِهاية الحرب العالميَّة الأوْلى» [8]. كما لوحظ خِلالَ هذه الفترة مدى اختصاص التّعريف المصطلحيّ مثلاً بسِمَة وصف المفهوم عن طريق مفاهيم أخرى سبقَ تسجيلها لدى الأخصَّائيّين حيث تُستَثمَر باعتِبارها مَعلومات، حتَّى أنَّ مُصطلح التَّوثيق بالمَفهوم التِّقنيِّ المُتعارف عليه حالِيًّا «بَدأ يَظهر سنةَ *1931*» [9]. فَأُنيطَ ـ في مِثل هذا المُناخ المُتيقِّض ـ بالتّعريف المصطلحيّ دورُ تمييز المفاهيم بَعضها عن البَعض داخل المجال المفهوميّ الذي يتّسع له ويحدّده. وأخذَت ملامِحُ الانصِراف إلى تقدير الطَّابِع اللُّغويّ لِلتَّعريفات تبدو في آفاق انشغال المُصطلحيِّين: لِهذا فَلهم فضلُ السَّبق في هذا المَيدان نُلفيج. *مونان* يُشيدُبه بَعدما لاحظ إهمالَ اللِّسانيِّين وصف التَّعريفات لِسانِيًّا إلاَّ ما وقع مِنه بِصورةٍ ضِمنِيَّةٍ وعفويَّة، قائلاً:

« إنَّ هذا الإجماع الأخَّاذ المُنصبَّ حوْل منْح تَعريف المُصطلحات عُنصُرًا ووَضْعًا لُغويًّا مُعترَفًا به، حدث وأن عزَّزه النَّشاطُ النَّظريُّ لِلمُصطلحيِّين والمُعيِّرين مُنذ أكثر مِن رُبع قرن [10].

فإذا ما اعتبرنا ما أبداه *يوجين فيستر* مِن وُجات نَظرٍ ـ وهو أحدُ الرُّواد في هذا المَيدان مُنذُ ثلاثين سنة، وواحِدٌ مِن الحُجَّتيْن العالمِيَّتيْن أو الثَّلاثة في هذا الشَّأن ـ نُلاحِظُأنَّه « يَضع كوْن » التَّعريفات يَنبغي أن تُعالج قبلَ المُصطلحات « [11] باعتِباره مَبْدأً أساسيًّا لِكلِّ تَنميطٍ مِعياريٍّ لِمعجمٍ عِلميٍّ وتِقنيّ » [12].

من هنا نستنتج أنّ أعمال *ي. فيستر* المصطلحيّة السَّاعية خلال هذا الطّور إلى تقديم حلولٍ آنية لِمشاكل مُصطلحيَّة، تدخل في إطار ما أسماه *روبيرديبيك* فيما بَعْد بـ : **البحث المصطلحيّ الدّقيق** *Rechercheterminologiqueponctuelle* [13].

تَجدُر الإشارةُ هنا إلى أنَّه على الرّغم مِن أنَّ هَمَّ *فيستر* لم يكن في هذه المرحلة لغويًّا بحتًا، فوضْع اللّغة العربيّة حاليّا ـ ومنذ عقودٍ ـ قابلُ القيَّاس بأوضاع كثيرٍ من اللّغات الأوربيّة آنذاك، فالنّقص الذي كانت تعاني منه تلك اللّغات في مجال المصطلحات، وانبهارها إزاء السّيول المتدفّقة من الاختراعات والاكتشافات، والإحساس بِضرورة إقامة جسورٍ فيما بين العلماء والتّقنيّين، وبيْنهم وبيْن الأشياء المُبتدَعة [14]، كلّ ذلك وغيره حمل تلك اللّغات على استعراض مؤهّلاتها الدّاخليّة إغراءً للعلماء والتّقنيّين، فخصّصوا بعضَ الشَّيء من أبحاثهم لمعالجة قضايا المصطلح واللّغات العلميّة ولغات الاختصاصات.

وشبيهٌ بِهذا التّخوُّف ما يتأسّف مِنه *م. ع. م. خفاجي*:

« وفي هذا الإطار اللُّغويّ العِلميّ الرّصين عمَلَت اللِّجانُ العِلميّةُ اللُّغويّةُ المُتخصِّصة، إلاّ أنّ سَيْلَ الألفاظ الأعجميّة الّتي لا يَستسيغُها اللِّسانُ العربيُّ أخَذ يَنتشِر بيْن الدّارسين والعامِلين في غيْبةٍ مِن حارِسٍ أو رقيب، وهنا ظهَرَت الحاجةُ

إلى إجراء عِلاجٍ حاسِمٍ سريعٍ لاستِئصال هذه الشّوائب الخطيرة مِن اللُّغـة العربيّـة قبلَ أنْ تَستقرَّ ويَصعُب اقتِلاعُها »[15].

إنّ البعد الاجتماعي الذي ينطبع به المصطلح أملى *زاوية التّخطيط* اللّغويّ ثمّ *التخطيط المصطلحيّ*، الذي ما مِن شكٍّ في أنّه ذو حسناتٍ مِن شأنِها أن تُقلِع الواحِد عن الاعتِقاد بأنّ التخطيط لا طائلَ مِن ورائه بحجة أنّه تخمينيٌّ بالدّرجة الأولى. بيدَ أنّه لا يمكِن صنع أيّ خطّة ولا سياسة يُتعامَل وفقَها المصطلح، بما فيه المصطلح اللّساني، خارج القِراءات النقديّة التي يتكفّل بها دارِسون متطلِّعون ومطّلعون على مشكِلات ذلك المصطلح من جذورها إلى امتِداداتِها وقد سادت تلك القراءات بل شكَّلت ما نعبِّر عنه بتسمية *المخطَّط التقليدي*(Schématraditionnel).

2.3.1 مسارات الجمع:

ثمّة مسارات لذلك الجمع، وذلك من حيث المحطات الآتية:

- تحديد "السّياق التّعريفيّ" لـبعض "المُصـطلحات المُترجمـة منهـا وغـير المترجمـة" ← وُروده في السّـياق يُحـدِّد وظيفتَـه وقيمتـه المَفهوميّة.نذكر في هذا الصدد من المكاسـب الرئيسـيّة، العنايـة المركَّزة على كلمة المدوّنة التي وإن كانت تـدين كـثيراً لصـناعة الجـــــذاذات المقيِّـــــدة للمصـــــطلحات (Fiches terminologique) والتي عرفها العمـل المصـطلحي الآنـي (Travail terminologiqueponctuel)[16]، يُتحـرّى أن تكون نصيّة في الغالِب: فيؤول الأمرُ بنا إلى الحديث عن ظاهِرة التّنصيص: وضع المصطلح بعد الدخول في مسارب التخصّص ضمن نسيجٍ مِن العلاقات النصيّة.
- إحاطة المفهوم الذي يدلّ عليـه كـلُّ مصـطلح بتعريـفٍ يكـون مستمدّا من داخل النّصّ (السّـياق التّعريفـيّ) أو مـن خارجـه

(مصادر أخرى كالقواميس اللّسانيّة) ← التّعريف آلية ذات أدوارٍ بنويّة هامّة.

- التّركيز على العلاقات التي تربط كلّ مفهوم بآخر، ممّا يُفرز ما يدعى بـ" النّظام المفهوميّ " ← لا يَفوت القارِئ البصير ما لِلعِلاقات مِن فضْلٍ في استِيعاب كنه البنى السّائدة في المُصطلحات اللّسانيّة العربيّة.
- إعادة النّظر في تلك العلاقات، لكن ليس على مستوى " التّسميّات "، ممّا يؤدّي إلى إيجاد " شبكة مصطلحيّة " معيّنة.
- التّثبّت من وجود " النّظام المفهوميّ " و" الشّبكة المصطلحيّة " لتأكيد وظيفة المصطلحات وإمكانيّات تصريفها في اللّغة المترجم إليها.
- يكون ضبط التّعريفات بتحديد " المعيّنات " و" القيود " و"الإحالات".
- نشرع في هذه المَرحلة بِدراسة الكيفيّة الّتي تعمل بِها المُصطلحات.

2. التحيين:

إنّ للتحيين علاقة وطيدة بما يُدعى بالفرنسيّة (Veille terminologique) وهو ما يُسمّى أيضاً بالرصد المصطلحي. إنّ التحيين في مفهومه المعجمي هو التحديث، ولكن له استعمالات في مجالات مختلفة كاللسانيات حيث يُسمّى (تحصيل) أو (تجعيل). ويأخذ معنى التحيين في المعجميات بعداً توثيقياً مرتبط بالبيانات المسجلة على شكل بطاقات سرعان ما تُحيَّن في صناعات القواميس الجيبيّة. وتستمرّ العمليّة على هذا النحو كلمامسّت الحاجة لتحديث تلكم البيانات بشكل منهجي. ولكن كثيراً ما تتمّ أرشفة المعلومات على شكل جذاذاتٍ لأغراض الحفظالذي قد يوفِّر الوقت والجهد أمام

متطلّبات البحث وتلبيّة الحاجاتالموازية لأعمال للمعلمين، والعلماء، المحررين والمترجمين من وإلى لغاتٍ أخرى.وكذلك يرد التحيين في سياق التعليميات أي التحيين لمقتضيات التعليم، وهو ما يُقصَد به التّحيين لأغراض تحسين اللغة. ويدخل فيه كلّ المراجعات التي نستوفدها من آراء العلماء في خصوص بعض الاستعمالات الفرديّة التي قد تطال اللغة وتصبح جزءاً من نظامها.

1.2 التحيين والتحصيل:

يمثِّل مصطلح التحصيل (Actualisation) والمفهوم الذي يشغله، مثالاً واضِحًا لتلاقي الأفكار بين الفلاسفة واللّسانيين ومجالاً خصبًا لتبادل التأثير والتأثر بين الفئتين، وكثيرًا ما لجأ إليه الباحِثون لتعليل ثنائيّة (اللّغة / الكلام) باعتبار الكلام **تحصيلاً** للّغة؛ والشاهد فيما نذهب إليه أنّ معظم من تصدّى لهذه الثنائية ــ ولاسيما من المنظور الإبستيمولوجي ــ لا يخرج منها من غير أن يستدعي ما برز للفلاسِفة من المفاهيم المتّصِلة بمصطلح (التحصيل) ومن دون أن تسترعي انتباهه تلك الإفادات التي أفادوها منهم؛ فنجد مَن يقابله بمصطلح (Potentialisation) أو (التكمين)، وذلك في إطار وصف حالة المادّة كما أخبرنا بذلك صاحِب المقتبَس الآتي وهو يتعرّض للمصطلح الفلسفيّ بالدرجة الأولى: « وضع المناطِقة مفهوميْن من جملة المفاهيم لحالة المادة هما مثلاً: التكمين من (كمن) (Potentialisation) والتفعيل (Actualisation)» [17].

فعلى هذا المنوال أخذت تظهر من حين لآخر دراساتٌ تضيف إلى هذه الثنائية حجرًا بعد آخرَ ومن ذلك ما فعل الباحِث ألان برندونار Alain Berrendonner حينما عمد إلى ربط مسألة النموذج اللّسانيّ بمسألة التواصل، وذلك بمحاولة منه لسدّ الهوّة التي تفصل بين اللّغة من حيث هي نظام وبين الكلام من حيث هو أداء وتحصيل أو تحقيق [18].

« ـ والقول بأنّ الظّاهِرة اللّغويّة عرفيّة يتعلّق بعلاقة الإنسان باللّغة، وفي هذا المجال هناك عدّة مبادئ مستنبطة مِن التراث العربيّ هي:

أوّلاً: أنّ الدلالة اللّغويّة فعلٌ إراديّ مقصود بصاحِبه، وهو فعلٌ اختياريّ، وهذا ينفي فكرة تسلّط الظّاهِرة اللّغويّة على الإنسان.

ثانيًا: دلالة اللّغة ليست البتة فعلاً ذاتيًا في اللّغة، بمعنى أنّ اللّغة ليست ذات دلالة باطنية خلقيّة عضويّة.

ثالثًا: أنّ الدلالة أمرٌ طارئ على الحدث الفيزيولوجي والتصويت الفيزيائي.

رابعاً: أنّ اللّغويّة ليست البتة، من الناحية النظريّة، شيئًا لصيقًا باللّغة مرتبطًا بحقيقتها، ولهذا شواهد عند ابن حزم وابن الخفاجي، وابن سينا الذي يقول » إنّ اللّفظ بنفسه لا يدلّ البتة، ولولا ذلك لكان لكلِّ لفظٍ حقّ في المعنى لا يجاوزه وإنّما يدلّ بإرادة اللاّفِظ.

ـ على أنّ رصد خاصة ربط اللّغة بالمدلول من جهة، وعلاقة الإنسان باللّغة من جهة أخرى يفضيان بنا إلى مبدأ أوّلي أو أصل نظريّ هو انتفاء دليل العقل على اللّغة، بمعنى أنّنا إذا عرفنا دلالة بعض الكلمات، فهذا لا يمكننا من استنباط دلالة كلمات أخرى إن لم نعرفها مباشرة، يقول فخر الدين الرازي في هذا » إنّ العقل لا طريقَ له إلى معرفة اللّغات البتة، بل ذلك لا يحصل إلاّ بالتعليم، فإن حصل التعليمُ حصل العلمُ به، وإلاّ فلا «، ويقول الغزالي » لا مجالَ للعقل في اللّغة « »[19].

2.2 المخطَّط التقليديّ في التحيين[20]:

يقوم المخطَّط التقليدي على ربط المصطلح العربيّ بالمصطلح الغربيّ، بحيث يُعلَّق مصيرُ الأوّل بمصير هذا الأخير؛ وذلك بتشخيص أكبر عددٍ ممكِنٍ من السياقات التي يرد فيها المصطلح الغربيّ ويُضبَط مفهومُه كما جاء بلُغةٍ من اللّغات الغربيّة التي يكون قد تبلور فيها، ويُقيَّد تبعًا للمسار الذي تكَوَّن وفقه ذلك المصطلح الغربيّ. فهكذا يُسوَّى الأمرُ في المصطلح العربيّ بالمحافظة على كلِّ البيانات الأصليّة مِن النصّ وعناصِره، والسياق وأهمّ مكوِّناته، والأمثِلة التابِعة لتلك اللّغة ..الخ، وذلك بوصفها مصدرًا له: فيصبح المصطلح العربيّ وفق هذا

المخطَّط التقليديّ بمنزِلة العبارة الواصِفة حيث يمثُل هذا المصطلح في ذهن مستعمِله باعتباره امتدادًا لذلك المصطلح الذي يقاوِم بفضل تلك البيانات والذي قد يتفاضل باستناده إلى مرجعيّة فِكريّة غير ملتوية؛ وإذا عنا للواضِع الأوّل أن يُجسِّد الجزء الأكثر تعقيدًا مِنه بأمثلة مساعِدة على الفهم عمد المتبنّي للمقابل العربيّ إلى ذات التصرّف.

يتسمّى هذا القِسم من المخطّطات التي رصدناها، بـ*المخطَّط التقليدي* نسبةً إلى ما أقبل عليه الرّعيل الأوّل من اللّسانيين مِن تثبيت أركان المصطلح الغربي في اللّغة العربيّة عبر العمل المصطلحيّ المفضي إلى وضع " توليد " المصطلح العربيّ؛ ولا شكّ أنّ استعمال المقيَّد (مخطَّط) بكلِّ ما يوحي به من الارتباطِ بمسألة التخطيط المصطلحيّ كان مقصودًا، لكن ليس مِن باب الاستشراف بقدر ما يرنو إلى تسجيل لحظة توقُّفٍ نطلُّ منها إلى ماضي المصطلح، لهذا حرصنا على قيد (المخطّط) بكلمة (تقليدي) التي تدلّ على مسارٍ نفرض وجودًا له سابق على ما يحدث الآن ويتحرّك من خلاله المصطلح الذي يوضَع هنا وهناك . نذكر مِن بين ميزات هذا المخطّط أنّه يعصم من الخلل. فمصطلحٌ يدخل الدّرسَ اللّسانيّ العربيّ بهذا النحو حيث الدقّة وتحدّي البحث والتنقيب عن المعلومات المؤصِّلة، لا يملك الواحِد أن ينتشِله بسهولة وبدون ما يستحقّ النقد وأن يُشهَّر بها. فلذلك لا يتمّ استعمال المصطلح العربيّ إلاّ بحضور ـ أو استحضار ـ المصطلح الغربيّ، وذلك بطرقٍ مختلِفة وتحت دواعٍ عدّة، كتوضيح الصورة أمام المتلقّي أو تحيين المَلَكة الموسوعيّة.

3. مصادر التحيين المصطلحي:

1.3 التّحيين ضربٌ من التطوّر اللّغوي:

إنّ التصرّف الذي كاد أن يُرشَّح إلى نوعٍ مِن ظاهِرة، يقوم على اعتبار التّحيين ضرباً من التطوّر اللّغوي، والحال إنّ التطوّر يقوم على حلول وحدة لغويّة أو ظاهِرة لغويّة محلَّ أخرى حلولاً طبيعيّاً وعفويّاً بحيث يتحقّق للوحدة أو الظاهِرة

اللاحِقة وجودٌ في الاستعمال الآني، بينما تضمحلّ الوحدة السابِقة عليها آنياً (وليس تاريخياً)، فتعدّ بذلك الوحدة اللاّحِقة بديلاً للوحدة السّابِقة؛ وهذا حادِثٌ في اللّغة الطبيعيّة لا محالة ومهما تكن. بينما يحدث التغيّر في اللّغة الواصِفة كاللّسانيات بصورة اصطناعيّة تخضع لقوانين التوقّع في حال التحيين. وأحسن ما يفسَّر به الأمرُ كما يذكِّرنا به لويس غلبير (Louis Guilbert) بالاستناد إلى ثنائيّة دي سوسير (التعاقبيّة والتزامنيّة) ــ هو أنّ البعد التعاقبي الذي يمكِن ــ ويجوز اعتماده دائماً ــ يُطلعنا على المدلولين المتعاقبين على نفس الكلمة ولا يُلزم المستحدَث منهما أن يكون محيَّناً بالضّرورة [21]. هذا، بينما للتحيين ما يُسعفه مِن مصادر فيها من الجوانب الاصطناعيّة أكثر من الجوانب الطبيعيّة، نذكر منها ما يتّصل حاليّاً بالمصطلح اللّساني:الإعلام والانترنيت والنشر العلمي والتدوين.

2.3 مرجعيّة المصطلحات:

لقد تزوّدت المصطلحيات من جانبها، منذ نحو قرنٍ من الزمن، بغطاء قانونيٍّ خوّل لها الحفاظ علىالشقّ الأوّل من موضوعها الخطِير والجدير بها وهو المصطلحات (التسميات) بمختلف مرجعياتها وميادين تواجدها والآليات اللّغوية التي تتدخّل في تكوينها ــ وهي المعروفة والمنتشِرة لدى كلِّ لغة من لغات البشر، كما مكّنها ذلك مِن استرجاع الشقّ الثاني من الموضوع وهو المفاهيم؛ وذلك بمقدار ما كانت تترقّب خطوات تطوّر العلوم مستجيبةً حينئذٍ لدعوات النشر السريع والناجع للمعلومات التي يُسفِر عنها كلُّ بحثٍ يستند إلى معايير علميّة متعارف عليها عالميا [22]. وقد حمل هذا الغطاء تلكم المصطلحيات إذن على أن تخوض ــ وفقَ هذا المبدأ وبوصفها علماً مرافِقاً للعلوم الأخرى ــ في موضوع المصطلحات على قدر اهتمامها بهذه العلوم، وبالتّالي بالمعلومات التي توفِّرها هذه الأخيرة: وهو ما أعطاها أيضاً إمكانيّة الاقتراب من الأشياء التي تبحث فيها تلك العلوم والدنو مِن المعارف التي تُغطّيها على مدى استمرارها في استكشاف العالم في كلِّ أبعاده المترامية.

وما وضع المصطلحيات على المحك هو التطوّر الذي تشهده العلوم، ما يستدعي النّظر في حال المصطلحات الرئيسية المستخدمة في مجالاتها وتلك التي لم تعد تفي بالغرض، ولاسيما إذا راعينا قضيّة التعيين بمختلف وجوهه، والاختلاف بين المفهوم والفكرة وبين المفهوم والتصوّر ..الخ.

خاتمة

يمكن أن نُحوصِل ممّا سبق عرضُه أنّنا نتواجد حالياً في عالَم يكشِف ــ أكثر مِن أي وقت مضى ــ عنحاجة الناسإلى الحصول على مزيدٍمِن المعلومات وتوفير الخدمات وتكثيف الاتصالات. لذا أدرك بعضُ المتدبِّرين في هذه الحال ضرورةَ التوجّه بسرعة فائقة نحو تطوير أنظمة ذات كفاءة عالية في جمع المعلومات وتخزينها، ومن ثمّ استرجاعها وتوظيفها مِن جديد بوساطة برامج ذكيّة وعبر شبكات طيِّعة. وتعدّ المصطلحات ــ إذ هي تُسخَّر في مستندات وثائقيّة هامّة في حدّ ذاتها ــ أحد المفاتيح في هذا الشأن بما تساهِم به حقّاً وبشكلٍ فعّالفي تعريف المفاهيم وتنظيم المعارف وتفعيل المعلومات وتخزينها واسترجاعها، وكذا لدقّتها ووضوحها واختصارها وتركيزها وانتِظامها ودورها التّواصلي النّاجع.مِن هنا نرى أهمية التّشديد على الدور الاستراتيجي لقاموس الجيب ــ في إطار تخطيطٍ لغويٍّ ناجع ــ كوسيلة من وسائل التزويد بالمعلومات في جميع المجالات التي ترتبط بها.

هوامش ومراجع

[1] يُنظَر: Daniel Gile, Évolution de la rechercheempiriquesurl'interprétation de conférence, TTR : traduction, terminologie, rédaction, vol.08, n°1 (Orientations européennesentraductologie, Dir Yves Gambier), Université de Québec, Ed. Les Presses de l'Université de Québec, Québec, Janvier-juin 1995, (p.201-228).

[2]شدَّ ما حرص علي القاسمي على تبيان فضل المصطلحات في هذا الخصوص. يُنظَر على سبيل المثال: علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008.

[3]يُنظَر Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie, Linguatech (Montréal : Québec) / CILF (Paris), 1980, 102 p. p.43-51.

[4]يُنظَر Jean Delisle, La Traduction raisonnée : manuel d'initiation à la traduction professionnelle de l'anglais vers le français, Ed. Les Presses de l'Université d'Ottawa, 1993, p.312،

[5]يُنظَر: Loïc Depecker, Contribution de la terminologie à la linguistique, Langages, n°157 (La terminologie : nature et enjeux), CNL, Ed. Larousse/Armand Colin, Paris, 2005, (p.06-13), p.06.

[6]كثيراً ما يُستعمَل مصطلح متغيِّر كمقابل لـ paramètres. لكن قد تختلِط الأمور بينه وبين ما يدلّ عليه وهو موظَّف كشقٍّ في ثنائية " متغير / ثابت (ساكِن) "، لهذا سلكنا مسلك التوليد الدلالي الصوري: (مَعلَمة)؛ يُنظَر مصطلح متغيِّر: عبد الرّحمن الحاج صالح وآخرون، المعجم الموحَّد لِمُصطلحات اللِّسانيَّات (إنجليزي . فرنسي . عربي)، المنظَّمة العربيَّة لِلتَّربيَّة والثَّقافة والعُلوم، تونس، 1989، مادة 221، ص.14. ثمّة من يفضِّل الدخيل (برامتر)، يُنظَر مثلاً: ج. كاي وج. لوفنشتام وج. ر. فيرنيو وم. هالي وأ. مرانتز، الصواتة والصرف، ترجمة محمد بلبول وعبد الرزاق تورابي، دار توبقال للنشر، سلسلة أعمال جامعيّة، الدار البيضاء، 2007، ص.09.

[7]محمود فهميحجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح..، ص.14.

[8] Jacques Chaumier, Les techniques documentaires, Coll. Que sais-je ?, 2° éd. PUF, Paris, 1974, p.06.

[9]Idem., p.06.

[10]إنطِلاقًا مِن تاريخ إنجاز البحث المشار إليه في الهامِش الموالي والمنشور في نوفمبر 1963 مِمَّا يُحيلُ إلى الثَّلاثينيَّات من القرن نفسه.

[11]نَقلاً عن المرجِع السَّابِق لـ : ي. فيستر الّذي ذكره ج. مونان والمهمَّش لَه أعلاه، ص.

[12]Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction.., p.127.

[13]يُنظَر: R. Dubuc, Manuel pratique.., p.23-24.

[14]يُنظَر:

[15]مُحمّد عبد المنعِم خفاجي، المصطلحُ العِلميُّ في اللُّغة العربيّة، مجلّة الحضارة الإسلاميّة، ع.5، المعهد الوطنيّ للتّعليم العالي للحضارة الإسلاميّة، وهران، نوفمبر 1998، ص.100.

[16] يُنظَر هذا المصراع من العمل المصطلحي: Robert Dubuc, Manuel pratique de terminologie,Linguatech, Québec, 1985, p.45.

[17] رفيق العجم، أبعاد في المصطلح الفلسفيّ العربيّ، الفكر العربي المعاصر، ع.48 . 49 (النقد والمصطلح النقديّ)، مركز الإنماء القومي، بيروت / باريس، شباط 1988، (ص.57 . 69)، ص.68.

[18] J. Cosnier, J. Coulon, A. Berrendonner& C. Orecchioni, Les Voies du langage : communication verbales, gestuelles & animales, Ed. Dunod, Paris, 1982.

[19] عبد الفتاح المصري، العرب واللّسانيات، الموقِف الأدبيّ، ع.117، اتحاد كتّاب العرب، دمشق، يناير 1981، (ص.15 . 25)، ص.18. نقله عن مقال " أشكال الدّلالة في التراث اللّسانيّ العربيّ " لعبد السلام المسدّي الذي ألقي في الدورة العالمية الخامسة للّسانيات المنعقد في مبنى كليّة الآداب بدمشق.

[20] وهو ما يسمّى التحصيل أيضاً، وهو المصطلح الذي قابل به أحمد الحمو المصطلح الفرنسي (Actualisation). وقد خالفه في ذلك سعدي الزبير في ترجمته الاجتِعال وهو مصطلحٌ جديد وضعه المترجم بينما فضّل أحمد الحمو إعادة استعمال مصطلح ورد في التّراث اللّغويّ العربيّ.

التحيين وفق المصطلحيات التداوليّة التي رسمنا معالمها في الفصل، هو ما وجدناه في، لكن من باب التنويع المصطلحيّ (الترادف الوظيفيّ) نستعمل (التحيين) عوضَ (التحصيل)، وهو (الاجتعال) عند الباحِث الجزائري سعدي الزبير، يُنظر: أندري مارتيني، مبادئ اللّسانيات العامّة، ترجمة سعدي الزبير، دار الآفاق، الجزائر، (د.ت). ص.112.

[21] L. Guilbert, Théorie du néologisme, Revue Cahiers de l'Association internationale des études françaises, n° 25, Paris, 1973, (p.09-29), p.11.

[22] يُنظَر: يوسف مقران، تقاطعات المصطلحيات ونظريّة المعرفة: في سبيل ممارسة النّقد في مجال اللّسانيات، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالجزائر، ع.13، الجزائر، 2011، (ص.121 ـ 176).